Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها

علي هذه الأفلام قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيدا عن الغبار

في درجة حرارة من ١٥-٢٥ مئوية ورطوبة نسبية من ٢٠-٤٠%

To be Kept away from Dust in Dry Cool place of 15-25- c and relative humidity 20-40%

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بعض الوثائق الاصلية تالفة

Ain Shams University Information Network
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بالرسالة صفحات لم ترد بالاصل

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

٨١٠

١٠٩

جامعة المنوفية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

لجنة الحكم والمناقشة :

اسم الباحث / مصطفى محمد أبو طاحون

المدرس المساعد بالقسم

عنوان رسالة الدكتوراه / رباعية الرافعي في الحب والجمال دراسة أسلوبية

لجنة الحكم والمناقشة

أ . د / إبراهيم محمد أحمد الإدكاوى

أستاذ اللغويات والنحو والصرف - وكيل كلية الآداب - جامعة المنوفية .

أ . د / نبيل رشاد نوفل

أستاذ النقد الأدبى بكلية الآداب ببنها - جامعة الزقازيق .

أ . د / يوسف حسن نوفل

أستاذ الأدب العربى ورئيس قسم اللغة العربية - كلية البنات - جامعة عين شمس

أ . د / صلاح رزق

أستاذ الأدب العربى - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

قرار لجنة الحكم والمناقشة :

تمت المناقشة فى يوم / / ١٩٩٩ م .

١٩٩٩ م

٤٠٤

جامعة المنوفية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المشرفون

اسم الباحث / مصطفى محمد أبو طاحون
المدرس المساعد بالقسم

عنوان رسالة الدكتوراه : رباعية الرافعي في الحب والجمال دراسة أسلوبية

لجنة الإشراف

أ . د / إبراهيم محمد أحمد الإدكاوى
أستاذ اللغويات والنحو والصرف – وكيل كلية الآداب جامعة المنوفية .

أ . د / نبيل رشاد نوفل
أستاذ النقد الأدبى بكلية الآداب بنها – جامعة الزقازيق .

١٩٩٩ م

تمهيد أول :

فى المنهج

(١)

« الصعوبة »

تمثل قضية المنهج واحدة من إشكاليات الفكر العربى ـ إن لم نقل الإنسانى ـ المعاصر ، لاسيما فى مجال النقد والإبداع ، وذلك لعدة أمور منها :

١ ـ السعى الحثيث من رجالات النقد نحو علمنة المنهج النقدى اتساقاً مع روح العصر العلمية، وما يثيره ذلك من نظريات فلسفية ، وخلفيات ثقافية وافدة ومتعددة تلقى بزخمها فى مصب الحركة النقدية العربية المعاصرة .

٢ ـ تمازج الاختصاصات وتداخل حقول المعرفة الإنسانية ومناهجها على نحو لم يسبق له مثيل فى عصر سابق ، وهو الأمر الذى أدى بالضرورة وكما يقول الدكتور / عبد السلام المسدى: (إلى بروز علوم هى بالضرورة نقطة تقاطع علمين على الأقل ، فسميت معارف متمازجة الاختصاص ، ومن بينها : علم النفس اللغوى ، والنقد اللسانى ، والأسلوبية)[١] . ويعقد ذلك الأمرُ الإشكاليةَ على نحو تصاعدى ، ويجعل سبيل الناقد شائكاً ما لم ينظر إلى ذلك كله فى ضوء النصوص الإبداعية ذاتها ، فيلقى لها بزمام اختيار المنهج الصالح .

٣ ـ كثرة المناهج المطروحة بالساحة النقدية وتعددها الواضح من ناحية ، وسرعة التحول عن بعضها إلى بعضها الآخر قبل استكمال مقومات النضج والعطاء من ناحية أخرى .

٤ ـ التراكم الكمى الملحوظ فى حجم الدراسات المنجزة حول موضوع المنهج ، وما يرافق هذا التراكم الكمى من غياب الوعى ـ أحيانا ـ بعمق الإشكالية فى تشعباتها وأبعادها المختلفة[٢]. وهو الأمر الذى يؤكد أن الحوار العربى بشأن المنهج النقدى لما يزل بعد منقوصاً لم ينجح فى بلورة نظرية نقدية عربية مناسبة .

---

(١) عبد السلام المسدى: التفكير اللسانى فى الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب بتونس ،الطبعة الثانية ١٩٨٦م ، ص١٠ .

(٢) يراجع فى التراكم الكمى للمناهج وغياب الوعى :

أ ـ عبد العالى بوطيب : إشكالية المنهج فى الخطاب النقدى العربى الحديث ، ضمن بحوث دورية « عالم الفكر » الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، المجلد «٢٣»، العددان « ١ ، ٢ » ديسمبر ١٩٩٤م ، ص٤٥٥ .

ب ـ خالد سليكى : من النقد المعيارى إلى التحليل اللسانى « الشعرية البنيوية نموذجا »، « عالم الفكر »، المجلد « ٢٣ » العددان « ١ ، ٢ »، ص ٣٦١ .

(٢)

« الأهمية »

يكتسب المنهج أهميته الخاصة فى مجال النقد والإبداع من كونه : (مفتاح التحكم فى كل بحث ونجوع كل دراسة) [١] فمن الأهمية بمكان أن يكون المنهج صالحاً لا أقول بإطلاق لكل النصوص ، بل لمقاربة نص بعينه أو مجموعة نصوص متشابهة المنحى والأسلوب؛ كأن تكون مثلا لمؤلف بعينه ، فإن المناهج الصالحة لمقاربة النصوص الأدبية هى وحدها القادرة على استكناه حقيقة الإبداع وسبر أغوار النصوص ، والوصول إلى معالم الأسلوب الخاصة وركائزه الجوهرية ، وبالمقابل فبدون تلك المناهج الصالحة تبقى (معطيات النص خرساء ، نستنطقها فلا تجيب)[٢] .

والحق أن لا وجود للمنهج الذى يقال عنه إنه الأصلح والأنسب ،فإن صلاح المنهج يكمن فى مناسبته لمقاربة النص الإبداعى ، ويعد هذا الصلاح هو العلامة الأولى على توفيق الناقد والباحث؛ بحيث يمكن التنبؤ بأهمية النتائج النهائية المتحصلة عن تلك الممارسة النقدية الموفقة ؛ وعليه فإنه لا بد أن تنشأ المناهج صادرة عن النص الأدبى نفسه ، أو طبيعة الموضوع فـ (طبيعة الموضوع هى التى تحدد المنهج لا العكس)[٣] وهو الرأى عينه الذى ذهب إليه الدكتور / محمد عبد المطلب حين أكد (أن النص يفرض على الدارس توجها بعينه يراه ملائما له) [٤] . ولذا فلا عجب أن تتعدد المداخل النقدية المعاصرة تعدداً يسم الحركة النقدية بالزخم الذى يفرضه تباين النصوص الإبداعية من ناحية ، وتباينها مقرونة بـ / متفاعلة مع اختلاف التوجهات النقدية الأصيلة:« حديثة ، تقليدية » لدى الناقد من ناحية أخرى . ولعل تلك الحقيقة هى التى دفعت باحثاً كـ « وليم راى » إلى القول : (بالخصوصية المطلقة لكل قراءة جديدة)[٥] . وهو ما يقرره الدكتور / عبد السلام المسدى فى إطار الأسلوبيات خاصة إذ يقول : (لئن بدا التماثل والتوحد بارزا نسبياً فى حقل الأسلوبيات النظرية ، فإن مجال العمل فى الأسلوبية التطبيقية قد تجاذبته

---

(١) عبد الله العروى وآخرون : المنهجية فى الأدب والعلوم الإنسانية ، دار توبقال للنشر بالمغرب، الطبعة الثانية ١٩٩٣م ، ص٧ .

(٢) نفسه ص٦ .

(٣) إشكالية المنهج فى الخطاب النقدى . . ص٤٦٠ .

(٤) محمد عبد المطلب : تقابلات الحداثة فى شعر السبعينيات ، سلسلة كتابات نقدية « تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ، رقم «٤٥» نوفمبر ١٩٩٥م ، ص٢٣ .

(٥) وليم راى : المعنى الأدبى من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ، ص١٠ .

مشارب عدةً ، حتى لتكاد تتكاثر بحسب عدد الأسلوبيين التطبيقيين) [1] .

إذن فالنصوص الأدبية هى القادرة بالمقام الأول على تحديد طابع المنهج النقدى ، وخطواته الإجرائية . إذ إن لكل نص عالمه الخاص ، مما ينبغى معه ألا نرغمه على تناول تأباه بنيتُه ، أو يُخْشَى عليها أن يفسد هذا التناولُ أو ذاك جمالَها وإبداعها ؛ فما يصلح منهجا للشعر الحداثى قد لا يصلح منطلقا لمقاربة الشعر الجاهلى . ويسمُ ذلك الأمرُ الممارسةَ النقدية بكثير من الصعوبة تلقى على عاتق الناقد ، وكما يقول الهادى الجطلاوى : (فإن صعوبة المباشرة الأسلوبية تكمن فى أن لكل نص روحه ومميزاته ، فليس لك أن تفرض عليه منهجاً مسبقاً تحدده وتعممه ، بل إن النص هو الذى يملى عليك أن تعالجه بالطريقة الملائمة التى يكون متهيئاً لها) [2] .

(٣)

المنهج .. أسلوبى توفيقى تأليفى

ولقد ارتضيت لبحث « رباعية الرافعى فى الحب والجمال » بعد طول مصاحبة لها المنهج الأسلوبى التوفيقى التأليفى منهجاً مناسباً وهو ينهض على معالم أسلوبية خاصة لا تقتصر على منهج أسلوبى [3] بعينه يتبناه البحث ويهمل غيره ، بل تتشكل تلك المعالم تقريبا من كل مناهج الأسلوبية الحديثة ، ولا غرو أن يكون المنهج توفيقيًا [4] تأليفياً وذلك لسببين :

الأول : « ويتعلق بظاهرة الأسلوب الأدبى » ؛ إذ تتسم تلك الظاهرة بكثير من التشعب والتعقيد بحيث (لا يسمح لمنهج أن يعفى على منهج ، ولا لطريقة أن تستثنى طريقة ، ولا لمنظور أن يحجب منظوراً) [5] .

الثانى : « ويتعلق بعلم الأسلوب »؛ إذ يظهر علم الأسلوب ذاته ـ كعلم حديث لـمَّا يصل بعد إلى معالمه النهائية المستقرة ـ على مفترق طرق كثيرة كما يقول «كريستيان بايلون» ؛ إذ تستضىء

---

(١) عبد السلام المسدى : النقد والحداثة ،منشورات دار أمية ودار العهد الجديد بتونس ، الطبعة الثانية ١٩٨٩م ، ص٦٧ .

(٢) الهادى الجطلاوى : مدخل إلى الأسلوبية « تنظيراً وتطبيقاً » ، دار عيون بالمغرب ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، ص٥ .

(٣) قد تكون بعض تلك المعالم من غير مناهج الأسلوبية ، والضابط فى قبول تلك المعالم بالمنهج هو قدرتها على الإسهام فى إضاءة النص ، وكذا عدم تعارضها الواضح مع ركائز الأسلوبية الرئيسة .

(٤) فرق بين أن يكون المنهج توفيقياً تأليفيا ، وبين أن يكون تلفيقياً ؛ فمذهب التوفيق لا يجمع من الآراء إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول . أما مذهب التلفيق فلا يبالى بذلك لأنه يقتصر على النظر فى ظواهر الأشياء نظراً سطحياً . يراجع فى ذلك :

المنهج والمصطلح: خلدون الشمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، طبعة ١٩٧٩م ، ص١٥ .

(٥) سعد مصلوح :دراسات نقدية فى اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، ص٦٠.

الأسلوبيات بمناهج النحو والألسنية والإحصاء والتاريخ الأدبى وعلم الشخصيات والبلاغة [1]. وكما هو معلوم فإن علم الأسلوب هو ذلك الوليد الذي احتضنته اللسانيات الحديثة فأينع فى رحابها واستبشر به النقد الأدبى فاستضافه حتى صار جزءاً هاماً منه .

والحق أن المناهج ينبغى أن تتكامل ولا تتصادم ، تتماسّ ولا تتفارق لأن لذلك أثره الطيب المحمود على الحركة النقدية فى سعيها نحو النضج والاكتمال .

وينهض منهج الأسلوبية التوفيقى التأليفى المختار على دعائم من :

أ ـ الأسلوبية التعبيرية .

ب ـ الأسلوبية التكوينية « أسلوبية الفرد » .

جـ ـ الأسلوبية الإحصائية .

فالأسلوبية التعبيرية « أو الوصفية » [2] تقوم على دراسة المضمون الوجدانى للغة ، فتدرس الأصوات ، والبنى الصرفية ، والتراكيب النحوية ، والتناص ، والصورة هادفة من وراء تلك الدراسة المتكاملة إلى إبراز القيم الأسلوبية لأدوات التعبير المختلفة بالنص ، فعلم الأسلوب كما يراه « بالى » هو بحث فى اللغة بأكملها ليس فى زاوية منها فلقد دعا إلى (دراسة هذه اللغة فى علاقاتها المتبادلة وإلى اختبار مدى ما يحتويه كل تعبير من عناصر ، وهذا لن يمكن إلا بدراسة اللغة فى جميع مستوياتها : الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية والدلالية)[3] ، فمهمة علم الأسلوب التعبيري إذن تكمن فى إبراز العلاقة القائمة بين صور الفكر وصيغ التعبير في شكل تكاملى لا جزئى ، وتتجلى فائدة تلك الأسلوبية فى ضوء المنهج التأليفى واضحة فى رسم خطة

---

(١) يراجع فى ذلك : مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية: كريستيان بايلون ، بول فابر، ترجمة : طلال وهبه ، المركز الثقافى العربى بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، ص٢٣٤ .

(٢) رائدها : « شارل بالى » ، ومن بعده « ماروزو » ، « كروسو » .

(٣) محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا ، منشورات وزارة الثقافة بدمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، ص١٠٩ .

ويراجع فى الأسلوبية التعبيرية أيضاً :

أ ـ اتجاهات البحث الأسلوبى . ترجمة وتأليف : شكرى محمد عياد (رحمه الله)، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ،ص٣١ ، مثال لـ (شارل بالى) بعنوان (علم الأسلوب وعلم اللغة العام) .

ب ـ الأسلوب والأسلوبية: بييرجيرو ، ترجمة : منذر عياشى ، مركز الإنماء القومى لبنان ، الطبعة الاولى ، ص٣٣ ومابعدها ، وهو عين الكتاب الصادر لذات المؤلف والمترجم عن مركز الإنماء الحضارى للدراسة والترجمة والنشر بسوريا ، الطبعة الثانية ١٩٩٤م ، ص٥٢ وما بعدها .

وسوف أقتصر من الآن فى الإشارة إلى النصوص المقتبسة على الطبعة الثانية .

جـ ـ البلاغة والأسلوبية « نحو نموذج سيميائى لتحليل النص » هنرى بليث ، ترجمة : محمد العمرى ، منشورات سال بالمغرب ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م ، ص٣٣ وما بعدها .

البحث ، وتحديد مستويات التحليل .

أما « **الأسلوبية التكوينية** » [١] فتقوم على حقيقة أن الأسلوب شيء ذاتى فردى يخص المبدع إذ هو بصمته ، ولذا فقد ذهب « شبيتزر » إلى القول بالتفسير الأسلوبى انطلاقاً من الجزء المنطبق على الكل ، وهو تفسير يقوم على اعتبار النصوص الأدبية وحدات متفردة متجانسة تُحيل خاصية كل جزئية منها إلى الكل بمجموعه ؛ فأسلوبية الفرد [٢] تقوم على الملاحظة التى يهتدى إليها قارئ النص أو ناقده تتبعها قناعة بأن الأسلوب يكمن فى تلك الملاحظة أو الظاهرة ، وأنها تمثل روح العمل الأدبى فى شموله على افتراض أن هذه الظاهرة لا بد أن تدعمها ظواهر أسلوبية أخرى بالنص ذاته . واختبار هذه الملاحظة يقوم على ثنائية المنهجية ، والتذوق الشخصى للقارئ والناقد . وتتمثل أهمية الأسلوبية التكوينية أبرز تمثل فى مرحلة القراءة الأولية للنص حين يود الباحث تحديد مظاهر النص البارزة واللامعة المشيرة إلى جوهر الإبداع وملمحه القارّ .

وترى أسلوبية الفرد « التكوينية » الأسلوب الأدبى انحرافاً أو عدولاً أو انزياحاً [٣]عن الأنماط اللغوية ، وأن أدبية النص إنما تنشأ عن هذا العدول ؛ إذ إن الحقيقة الأسلوبية عنده هى انزياح شخصى . ويرتبط مفهوم الانزياح عند شبيتزر ـ وعند غيره على السواء ـ بمفهوم درجة الكتابة الصفر ، وعن طريقه يقصد المتكلم إلى الخروج عن قواعد الاستعمال المألوفة ؛ فيستعمل لفظا مكان آخر للدلالة على معنى لا يؤديه المستبدل به [٤] ، أو يحدث إجراءً طريفا كالتقديم والتأخير ، أو الاعتراض ، أو الحذف ، أو الزيادة ، أومظاهر أخرى كالمجاز بأنواعه بغية إحداث الإمتاع الإبداعى ، وتلك الأسلوبية هى المنهج الذى يعوّل عليه حين تدرس صور التركيب وأنماط

---

(١) رائدها « ليوشبيتزر » (Leo spitzer ١٨٨٧ ـ ١٩٦٠ م) بعد « كارل فوسلر » (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩م) رائد المدرسة المثالية الألمانية فى الدراسات الأسلوبية .

(٢) يراجع فى أسلوبية الفرد « التكوينية » :

أ ـ الأسلوبية «بييرجيرو» ، ص٧٥ وما بعدها .

ب ـ الأسلوبية منهجاً نقديا ، ص٩٠ وما بعدها .

جـ ـ علم اللغة والدراسات الأدبية « دراسة الأسلوب . البلاغة . علم اللغة النصى » : برند شبلنر ، ترجمة : محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ، ص١٢٩ وما بعدها .

د ـ البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . طبعة ١٩٨٤م . ص١٢٨ وما بعدها .

هـ ـ مدخل إلى الدراسات الأسلوبية :جوزيف ميشال شريم ، المركز الجامعى للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١م ، ص٣٥ وما بعدها حتى ص٥٧ .

و ـ علم الأسلوب « مبادؤه وإجراءاته » :صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م . ص١٤٢ وما بعدها .

(٣) راجع فى مصطلح الانزياح: الانزياح وتعدد المصطلح: أحمد محمد ويس ،ضمن بحوث دورية « عالم الفكر » ، المجلد «٢٥» ، العدد «٣» ، ص٥٧ وما بعدها .

(٤) وهو ما يرتبط على هذا النحو بمفهوم الاختيار .

الصورة. غير أنه وفى مرحلة تالية من حياته تخلّى « شبيتزر » وتحديداً فى عام ١٩٢٠عن ذلك المنهج المنطبع إلى حد كبير بالذاتية ، وآثر منهجاً آخر يظل فيه التحليل داخل النص ، فينقب فيه الناقد ويجلوه من الداخل ، فيكشف عن علاقاته الداخلية من بنيته اللغوية ، وذلك لأنه رأى فى نهجه السابق « فيما يتعلق بربطه بين المبدع والإبداع » نوعاً من السيرة الذاتية ، ومن ثم انصرف إلى النص دون اللجوء إلى فكر المبدع أوسيرته ، وهو ما يمثل أخص معالم الأسلوبية البنيوية [١] التى تعنى بالنص فى ذاته معزولاً عن كل ما يتجاوزه من اعتبارات تاريخية أو نفسية وهو الاتجاه الذى نشأ بوصفه رد فعل عنيفاً للاتجاه البيوجرافى فى دراسة الأدب[٢] والذى يعتمد فى دراسته للنصوص الأدبية على « الأنا الاجتماعية للمؤلف » .

أما أسلوبية الإحصاء فتُعْنَى باستخدام مبادئ الإحصاء والرياضيات بوصفها مقاييس علمية دقيقة لمقاربة النصوص الأدبية . وتلك الأسلوبية تصدر عن اقتناع بأنه من المهم جداً الوقوف على معدلات حدوث ظاهرة إبداعية معينة لدى مبدع ما ، وبحيث لا يكفى لاكتشاف تلك المعدلات مجرد الملاحظة السريعة أو الحدس الذاتى .

وقد قوبل المنهج الإحصائى باعتباره مدخلاً لتحليل النصوص الأدبية بشىء من التوجس والحذر ، يتأتيان من أن حقل الدراسات الأدبية والنقدية قد صار فى الفترة الأخيرة ساحة تتزاحم بها المداخل النقدية التى تنبنى أفكارها ومنطلقاتها على مسلمات تقع خارج دائرة النص الأدبى، وتتكئ على أسلاف أو حلفاء ينتمون إلى فروع بالدراسات الإنسانية لها ـ غالباً ـ مبادؤها ورؤيتها الخاصة كعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة ، والاجتماع اللغوى ، والاقتصاد والاحصاء ، حتى لقد خشى البعض من هذا التصارع على مجال النقد من أن يتحول إلى نشاط تابع تصبح صورة مستقبله قاتمة [٣] . ولعل علم الإحصاء هو أوفر تلك العلوم حظاً من سهام بعض النقاد المتحفظين ، فلقد أثيرت حول أسلوبية الإحصاء هرطقة كبيرة ركزت الأضواء على المثالب،العيوب فقيل إنها تجرد النص الإبداعى من مقوماته الفنية ، وتحيله أرقاماً جوفاء ، وجداول صمّاء تبهم

---

(١) رائدها : ميشيل ريفاتير (M . R iffaterre) الذى أسهم فى تطوير التطبيقات الأسلوبية نحو نظرة شمولية فى النقد اللسانى الحديث .

ويراجع فى تلك الأسلوبية البنيوية : أ ـ الأسلوبية لجيرو ص١١٥ .

ب ـ الأسلوبية منهجاً نقدياً ص١١٠ .

(٢) يراجع فى الاتجاه البيوجرافى :

أ ـ مداخل نقدية معاصرة إلى دراسة النص الأدبى : محمود الربيعى، عالم الفكر ، المجلد « ٢٣ » العدد «١، ٢ » ص٣٠٥.

ب ـ الأسلوبية الحديثة « محاولة تعريف » : محمود عياد ، ضمن بحوث دورية «فصول» تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الأول ، العدد الثانى يناير ١٩٨١م ، ص١٢٥ .

(٣) مداخل نقدية معاصرة إلى دراسة النص الأدبى ص ٣٢٣ .

النص ولا تكشفه ، تغلقه ولا تنيره . واعتبر البعض أن الدراسة الإحصائية للعمل الأدبى (لغة غير مفهومة) [1] .

ومع إيماننا بقدرات الأسلوبية الإحصائية فمن الموضوعية أن نؤكد ضرورة تمييز كل علم بمنهجه، وأن فرض منهج أى علم من العلوم على النقد الأدبى من خلال الأسلوبية ، إنما هو فرض لمنهج قد يجافى طبيعة النص الأدبى نفسه ؛ فالأسلوبية الإحصائية ليست فى كل الأحيان صالحة بالقدر الكافى للتطبيق . ولقد تحفظ بعض النقاد بشأن الاعتماد الدائم ـ وبلا ضرورة فى بعض الأحيان ـ على الإحصائيات فى الدراسة الأسلوبية . وقد أجملوا اعتراضاتهم فيما يلى :

أ ـ أن هذا المنهج الإحصائى يعد أشد غلظة ، وأكثر بدائية من أن يلتقط بعض الظلال المرهفة للأسلوب ، مثل : الإيقاعات العاطفية ، والتأثيرات الموسيقية .

ب ـ أن الحسابات العددية قد تضفى نوعاً من الدقة الزائفة على بيانات متشابكة أشد سيولة من أن تخضع للمعالجة الرقمية ، مثال ذلك : أن دراسة الصورة بالمنهج الإحصائى تبهرنا بكم هائل من مظانّ الصورة « تشبيهاً ، استعارة ، كناية . . . » لكنها لا تراعى تداخل أنماط الصورة وتراكمها بحيث يصعب مع هذا التداخل الحكم بنهاية نمط وبداية آخر .

جـ ـ أن الدراسة الإحصائية للأسلوب قد لا تقيم حساباً لتأثير السياق رغم دوره الحاسم فى التحليل الأسلوبى ، مثال ذلك : الالتفات عن أثر السياق فى تحديد زمن الفعل النحوى عن طريق النفى بـ « لم » .

د ـ أن جملة من الأرقام المتعينة قد لا يتعدى تأثيرها أحياناً ملاحظة عادية كان من الممكن إدراكها للوهلة الأولى؛ إذ أنها بالغة البداهة لدرجة لا تحتاج معها إلى برهان أو إحصاء.

هـ ـ يخلط الإحصائيون غالباً بين الكم والنوع ، ولم ينجحوا حتى يومنا هذا فى تحديد العلاقة الوظيفية بين المستويين ، ولهذا السبب شكلت تحليلاتهم عموماً جداول حزينة من الأرقام العددية ، لا يظهر معناها ، وإذا ظهر كان مغالياً أو ساذجاً فى نظر أولئك الذين يكرهون أن تقنن القيم الجمالية فى مجرد علاقات كمية .

وبالمقابل[2] فإن الأسلوبية الإحصائية لا تعدم مزايا وفضائل بمكنتها أحياناً أن تعين الأسلوبى،

---

(١) عبده الراجحى : علم اللغة والنقد الأدبى « علم الأسلوب » . فصول . المجلد «١» العدد « ٢ » ، ص١١٩ .

(٢) يراجع فى عيوب الإحصائية :

أ ـ الأسلوبية « بييرجيرو » ص١٣٤ .

ب ـ الأسلوبية منهجاً نقدياً ص ٦٩ ، ٧٠ .

جـ ـ الأسلوبية « علم وتاريخ » : فيتور مانويل ، ترجمة: سليمان العطار ، فصول المجلد «١» ، العدد «٢»، ص ١٤١ .

وأن يكون لها أثرها الإيجابى فى تحليل النص . ومن تلك المزايا :

أولاً : أن الإحصاء يقدم المادة الأدبية تقديماً دقيقاً ، والدقة فى ذاتها مطلب علمى أصيل .

ثانياً : قد يساعدنا المنهج الإحصائى على فهم التطور التاريخى لإبداع المبدع .

ثالثاً : أن المنهج الإحصائى يفيد فى تزويدنا بمؤشر تقريبى لمعدل تكرار أداة خاصة ، ودرجة تكثيفها فى العمل الأدبى ، فمما لا ريب فيه أن تكرار ظاهرة معينة مرة واحدة أو عشر مرات له دلالات مختلفة ،تختلف عن ترددها بالنص مائة مرة .

رابعاً : أن الأسلوبية الوظيفية [1] قامت دعائمها على نظرية الاتصال، واستعانت بمفاهيم الإخبار والتكرار ، وهذه أمور يستطيع الإحصاء أن يمنحها مضمونها الموضوعى الذى ينقصها .

خامساً : اختيار العينات الأدبية اختياراً دقيقاً .

سادساً : التعرف على النزعات المركزية فى النصوص كنزعة استخدام الجمل الطويلة بالمقارنة مع القصيرة .

سابعاً : تمييز الأساليب الأدبية على فرض تعاصرها ، فاستخدام الإحصائية فى تمييز التطور التاريخى للأساليب ليس بأقل من ذلك جدوى .

ثامناً : الإحصاء يعين على تمييز خصائص أسلوبية معينة كالتنوع ، أو السهولة ، أو الصعوبة .

وأخيراً : فإن الإحصاء يفيد فى ميدان ترجيح نسبة النصوص مجهولة المؤلف ، أو المشكوك فى نسبتها إلى مؤلف بعينه [2]

---

(١) يراجع فى مزايا الإحصائية تلك :

الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: سعد مصلوح ، دار الفكر العربى بالقاهرة . ص٤٢ ـ ٤٨ .

(٢) يراجع فى الأسلوبية الوظيفية : الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها فى الدراسات الأسلوبية : مازن الوعر ، عالم الفكر، المجلد « ٢٢ » ، العدد « ٣ ، ٤ » بعنوان « آفاق الأسلوبية المعاصرة » . يونيو ١٩٩٤م ، ص ١٤٤ .